فيض ذكرى

.١.

يعيش بداخلي، يملأ على نفسي ، يحتل منطقة الإعجاب والفخر. كان إذا ما أجدبت صحارى أيامى يكون سحابةً هتوناً، تروى عزيمتي فأصدّ عنّي شدائد الزمن وأشعر بأني محاط بقلعة حصينة شاهقة ، يحميها فارس بجواد وسيف مشهر لها أبراج بألوان الطيف، عندها كنت أنام قرير العين وتبسم لي الديكة تلك التى تستيقظْ عند الفجر.

نادانى يوما:

ـ لم لا تصلى ؟

تدلت يداى ورفعت عينىّ من على الأرض مرتدياً لباس الصمت؛ كلمني بأن : الصلاة تقضى المصالح ... تجعل الإنسان يسافر فى بحر من السعادة. ثم بتلقائية انبرت أصابعه تلفّ عمامته وهويخرج من باب البيت. دار الزمان دورته وبدأت الأجنة فى سنابل القمح تشب عن الطوق ...رأيته هناك فى الحقول يعزق الأرض، يجول فيها يد العمارة. أعطاني فأسا وقال :

ـ خوض غمار التجربة يصنع الرجال.

لكن لم يمر إلا القليل حتى نضح جسمي بالعرق، تلاحقت الأنفاس وكاد القلب يقفز من ضيق الصدر، فأشار إلى نخلة هناك:

.لا بأس في الظل تأخذ الروح البراح.

لكني لن أنسى أنه فى شىء من الحرص يمتزج بالنصح صمم على أن يضعنى على بداية طريق لعالم يعرف قيمته؛ ففي مساء اجتماع الأسرة وقد لف الأفق حنان أبوى غامر قدم لي هدية الأوراق والأقلام.وفى الصباح كانت يدى فى يده حيث كتاب سيدنا، من يومها عرفت مذاقا للفرح.

.٢.

يفصل الآن بيننا الزمان والمكان. باعدت بيني وبينه السنون، حيث أصبح في عالم أكثر سعادة وهدوءاً واطمئناناً. فذات مرة استيقظت من النوم مذعورا لأمر على أبراج قلعتي فلم أجدها !!..

وللمرة الأولى وجدتني في العراء، يجرفني طوفان الخوف. جريت بكل قوة لأنظر الفارس الحارس ناديته.. نظر إلى ولم يجبني. أغمد سيفه وهناك في المغيب اختفى كالبرق الخاطف، تركني وحدي أغالب أمواج الألم والحسرة .غير أنى أصبحت أصلى، أمسك بالفأس، أقرأ، أكتب، وكل يوم أتذكره.. فتنهمر منى دموع العرفان.